

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرِّبَاطُ عَلَى بَوَابَةِ الْأَخْلَاقِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَكِيمِ الْخَلَّاقِ، وَجَهَ عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى أَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قُدْوَةٌ أَهْلُ الْحِكْمَةِ وَالْفَضَائِلِ، وَنَبْرَاسُ الْمُتَمَسِّكِينَ بِأَفْضَلِ الشَّمَائِلِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ، وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الْقَرَارِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى، وَرَاقِبُوهُ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (1)، وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّ الْمُرَابَطَةَ عَلَى الْمَبَادِي وَالْأَخْلَاقِ، تَحْفَظُ لِلْأُمَّةِ كِرَامَتَهَا، وَتَصُونُ لَهَا بَيْنَ الْأُمَّمِ مَنْزِلَتَهَا، فَالْأُمَّمُ كُتَلَةٌ مِنْ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ الْأَسُسِ الرَّائِدَةِ، وَالْأَرْكَانِ الْمَاجِدَةِ، الَّتِي بُعِثَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالذَّعْوَةُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِهَا، فَهَا هُوَ ﷺ يَقُولُ - مِثْلَمَا رُوِيَ عَنْهُ -: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))، وَشَجَّعَ ﷺ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُسَابَقَةِ إِلَى أَعْظَمِ الشَّمَائِلِ، وَالْمُنَافَسَةِ فِي أَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ، فَأَخْبَرَهُمْ ﷺ - كَمَا رُوِيَ عَنْهُ - أَنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبَهُمْ مَنْزِلَةً مِنْهُ صَاحِبُ الْأَخْلَاقِ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا)).

أيها المؤمنون

الصِّدْقُ أَسُّ الْفَضَائِلِ وَرَأْسُ الْأَخْلَاقِ، مَنْ تَخَلَّقَ بِهِ تَحَلَّى بِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وَخَلَّصَ نَفْسَهُ مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ، فَكَمَا لَا يَجْتَمِعُ ضَلَالٌ مَعَ هُدًى، وَظِلَامٌ مَعَ نُورٍ؛ لَا يَجْتَمِعُ صِدْقٌ مَعَ بَاطِلٍ وَكَذِبٍ وَزُورٍ؛ فَالصِّدْقُ نُورٌ وَهُدَايَةٌ، يَأْخُذُ بِصَاحِبِهِ إِلَى أَنْبَلِ غَايَةٍ وَأَسْعَدِ نَهَايَةٍ. فِي رِيَاضِ الصِّدْقِ وَرِحَابِهِ لَا يُهْضَمُ حَقٌّ وَلَا يَضِيعُ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَحَقٌّ لِلصِّدْقِ أَنْ يَتَبَوَّأَ الْمَكَانَةَ الرَّفِيعَةَ، وَالْمَنْزِلَةَ الْمُنِيعَةَ، كَيْفَ لَا؟ وَاللَّهُ وَصَفَ بِالصِّدْقِ قَوْلَهُ وَحَدِيثَهُ،



فَقَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ أٰصَدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيَلًا)، وَقَالَ: (وَمَنْ أٰصَدَقُ مِنَ اللّٰهِ حَدِيثًا)، كَمَا أَمَرَ رَسُولَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ لِتَبْقَى هَذِهِ حَقِيقَةً، وَاضِحَةً الْمَحَجَّةَ بَيْنَهُ الطَّرِيقَةَ؛ فَقَالَ تَعَالَى: (قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ)، كَمَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ بِالصِّدْقِ، رَغْمَ أَنَّهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الزَّكَايَةِ قِمَّةٌ، وَفِي كُلِّ الصِّفَاتِ الرَّاقِيَةِ مَنَارَةٌ، غَيْرَ أَنَّ مِنْ أَظْهَرَ مَا تَمَيَّزُوا بِهِ صِفَةَ الصِّدْقِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: (وَإِذْ كَرَّمْنَا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)، وَيَقُولُ فِي شَأْنِ إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: (وَإِذْ كَرَّمْنَا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)، وَيَقُولُ فِي شَأْنِ إِدْرِيسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: (وَإِذْ كَرَّمْنَا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)، وَقَدْ اشْتَهَرَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ وَأَزْكَاهَا، وَعُرِفَ بِأَنْبَلِ الصِّفَاتِ وَأَرْقَاهَا، وَبَلَغَ فِي كُلِّ صِفَةٍ حَسَنَةً مَدَاهَا وَغَايَتَهَا وَمُنْتَهَاهَا، بَيِّنًا أَنَّ صِفَتِي الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ كَانَتَا عِلْمًا عَلَيْهِ، فَهُوَ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ بِالصِّدْقِ مَوْصُوفٌ، وَبِالصِّدْقِ الْأَمِينِ مَشْهُورٌ وَمَعْرُوفٌ .

عباد الله

إِذَا كَانَ الصِّدْقُ أَسَّ الْفَضَائِلِ فَإِنَّ الْكُذِبَ أَسَّ الرَّذَائِلِ، وَكَمَا حَقَلَّتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْحَثِّ عَلَى الصِّدْقِ فَقَدْ حَقَلَّتْ أَيْضًا بِالتَّنْفِيرِ مِنَ الْكُذِبِ وَإِعْلَانِ قُبْحِهِ، وَيَكْفِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ بِهِ الْكَافِرِينَ فَقَالَ: ((إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ))، كَمَا وَصَفَ بِهِ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ: ((فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)) ، وَبَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْكَاذِبَ ضَالٌّ لَا يَصِلُ إِلَى غَايَةٍ، وَلَا يَنَالُ مِنَ اللَّهِ هِدَايَةً؛ فَقَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ))، وَقَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)) كَمَا أَنَّ الْكُذِبَ صِفَةٌ لَازِمَةٌ مِنَ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَسْبَمَا رَوَى عَنْهُ -: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ"



أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

نَجِدُ جَلِيًّا أَنَّ الْإِسْلَامَ الْحَنِيفَ قَدْ جَعَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَسْوَا يَسِيرُونَ عَلَيْهَا صَوْنًا
لِأَعْرَاضِهِمْ، وَحِفَاطًا عَلَى مَبَادِيهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، فَفِي تَوْجِيهِهِ لَهُمْ رِجَالًا وَنِسَاءً، دَعَا كُلَّ
طَرَفٍ بِمَا يَلْتَزِمُ بِهِ مِنْ حُدُودٍ مَعَ الطَّرَفِ الْآخَرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النُّورِ: ﴿قُلْ
لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ
لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
يُخْمَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ بُعُولَاتِهِنَّ أَوْ
أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (1)، فَهَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ، نَوَّرَتْ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَسُسِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي لَا
بُدَّ أَنْ يَتَعَاطَلَ بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ الْآخَرِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (2)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ:
﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ
قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (3)، وَالْأَمْرُ لَيْسَ خَاصًّا بِنِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَا يَعْنِي الْخِطَابُ لِنِسَائِهِ ﷺ
إِبَاحَةَ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ لِغَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ بَلْ هُنَّ مُشْتَرِكَاتٌ فِي الْأَمْرِ مِثْلَهُنَّ، وَعَلَى
الرِّجَالِ أَنْ يَنْقُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي خُلُقِ الْحَيَاءِ عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَهُنَّ.
فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَتَحَصَّنُوا بِالْأَخْلَاقِ فِي تَعَامُلَاتِكُمْ، وَاحْرِصُوا عَلَى

(1) سورة النور / ٣٠ - ٣١.

(2) سورة الأحزاب / ٥٩.

(3) سورة الأحزاب / ٣٢.

